في الاجتماع اللغوي

اللهجات العامية الحديثة

عوامل تطورها وصفاتها المشتركة

للدكتور على عبد الواحد وافى

أستاذ الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

— ٢ —

درسنا في المقال السابق[1] تسع طوائف من العوامل التي أدت إلى انشعاب هذه اللهجات عن العربية الفصحى وإلى تطورها المطرد في نواحي الأصوات والقواعد والدلالة والمفردات. وسنعالج في مقال اليوم بقية هذه العوامل، ونختتمه بنظرة في الصفات التي تشترك فيها هذه اللهجات.

* * *

١٠ — تناوب الأصوات المتحدة النوع، القريبة المخرج، وحلول بعضها محل بعض. يتبين من ملاحظة ظواهر التطور في مختلف اللغات الإنسانية أن الأصوات المتحدة النوع، القريبة المخرج، تميل بطبعها إلى التناوب وحلول بعضها محل بعض. فكل صوت لين عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت لين آخر، وكل صوت ساكن عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت ساكن متحد معه في مخرجه أو قريب منه. وقد كان لهذا القانون آثار ذات بال في انشعاب اللهجات العامية عن العربية وفي تطورها من ناحية الأصوات وقواعد الصرف ووزن الكلمات.

(ا) فقد حدث في هذه اللهجات تناوب واسع النطاق بين أصوات المد القصيرة التي يرمز إليها في الرسم العربي بالفتحة والكسرة والضمة. ويمثل هذا التناوب انقلاباً من أهم الانقلابات التي اعتورت اللغة العربية، فقد كان من آثاره أن انحرفت أوزان الكلمات، وانقلبت أشكالها رأساً على عقب، حتى لا نكاد نجد في اللهجات العامية كلمة واحدة باقية على وزنها العربي القديم. فالفتحة قد استبدل بها الضمة أحياناً والكسرة في كثير من الأحوال (فبدلاً من: يَعوم، يَسجد، يَسمع، عَتَر، خَلَص، سَكَت، عِند، كَبير، ألكتاب ... الخ؛ يقال في عامية المصريين: يُعُوم، يُسجد، يِسمع، عِتِر أو عُتُر، خِلِص أو خُلص، سِكت أو سُكت، عَند، كِبير، إلكتاب ... الخ).

— والكسرة قد استبدل بها الضمة أحياناً والفتحة في كثير من الأحوال (فبدلاً من: يلطم، يضرب، يسرق ... الخ؛ يقال في عامية المصريين: يلطُم، يضرَب، يسرَأ ... الخ). والضمة قد استبدل بها الفتحة أحياناً والكسرة في معظم الحالات (فبدلاً من: مُحمد، تُعبان، أُنثى، عُشّه، يقتُل، يدُم، ظُفُر ... الخ؛ يقال في عامية المصريين: محمد، تِعبان، إنثاية، عِشه، يقتِل، يِزم، ضِفر ... الخ)

وحدث كذلك تناسخ في أصوات المد الطويلة نفسها، وخاصة في الألف اللينة إذ أحيلت في لغات بعض القبائل العربية القديمة، وتحال الآن في كثير من لهجات المغرب ولهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر وفي بعض اللهجات في بلاد الشرقية

وما حدث في اللغة العربية بهذا الصدد حدث مثله في اللغات الهندية، الأوربية[1]

(ب) وكثير من الأصوات الساكنة المتحدة النوع أو القريبة المخرج قد تناسخت كذلك في اللهجات العامية وحل بعضها محل بعض. فالسين مثلاً قد تحولت إلى صاد في بعض المواطن (« ساخن » تحول إلى « صاخن » في عامية الشرقية وغيرها)؛ والصاد إلى سين في كثير من الألفاظ في عامية القاهرة وغيرها (فبدلاً من: يصدق، مصير ... الخ؛ يقال: يسدَّأ، مِسير ... الخ)؛ والضاد إلى ظاء في عامية المغرب

(١) أنظر عدد ٤٠٩

(١) أنظر تفصيل ذلك في كتابي « علم اللغة » ص ٢٩١ وتوابعها

وخاصة طرابلس وفى لهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر[1] (فبدلاً من : وضوء ، يضيع ، يضرب ، يضم ... الخ ، يقال : وظوء ، يظيع ، يظرب ، يظم ... الخ) والعين إلى نون فى بعض الكلمات فى لهجة العراقيين (فيقال مثلاً « ينطى » بدلاً من « يعطى »)[2] ؛ واللام إلى ميم فى بعض الكلمات فى عامية القاهرة (« امبارح » بدلاً من « البارحة »)[3] ؛ والميم إلى نون أحياناً فى عامية الصريين (فيقال « فاطنة » بدلاً من « فاطمة ») وهلم جرا ...

وما حدث فى اللغة العربية بهذا الصدد حدث مثله فى اللغات الهندية الأوربية[4]

١١ — يتغير مدلول الكلمات تبعاً للحالات التى يكثر فيها استخدامها . فكثرة استخدام العام مثلاً فى بلد ما أو فى عصر ما فى بعض ما يدل عليه تزيل مع تقادم العهد عموم معناه وتقصر مدلوله على الحالات التى شاع فيها استعماله ؛ وكثرة استخدام الخاص فى معان عامة عن طريق التوسع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم . وكثرة استخدام الكلمة فى معنى مجازى تؤدى غالباً إلى انقراض معناها الحقيقى وحلول هذا المعنى المجازى محله . واستخدام الكلمة فى فن أو صناعة بمعنى خاص يجردها فى هذا الفن أو فى هذه الصناعة من معناها اللغوى ويقصرها على مدلولها الاصطلاحى[5] . والتطورات التى حدثت فى اللهجات العامية تحت تأثير هذا العامل تناولت آلافاً من المفردات العربية ؛ حتى أنه ليندر أن نجد مفرداً عامياً مطابقاً فى مدلوله كل المطابقة للمفرد العربى الذى انحدر منه

١٢ — يتغير مدلول الكلمة أحياناً تحت تأثير القواعد . فقد تذلل قواعد اللغة نفسها السبيل إلى انحراف معنى الكلمة وتساعد على توجيهه وجهة خاصة . فتذكير كلمة « ولد » مثلاً فى العربية (ولد صغير) ، قد جعل معناها يرتبط فى الذهن بالمذكر ؛ ولذلك أخذ مدلولها يدنو شيئاً فشيئاً من هذا النوع ، حتى أصبحت لا تطلق فى كثير من اللهجات العامية إلا على الولد من نوع الذكور

١٣ — قد يتغير مدلول الكلمة فى انتقالها من السلف إلى الخلف . فكثيراً ما ينجم عن هذا الانتقال تطور فى معانى المفردات . وذلك أن الجيل اللاحق لا يفهم جميع الكلمات على الوجه الذى يفهمها عليه الجيل السابق . ويساعد على هذا الاختلاف كثرة استخدام بعض المفردات فى غير ما وضعت له عن طريق التوسع والمجاز . فقد يكثر استخدام الكلمة فى جيل ما فى بعض ما تدل عليه ، أو فى معنى مجازى تربطه بمعناها الأصلى بعض العلاقات ، فيعلق المعنى الخاص أو المجازى وحده بأذهان الصغار ، ويتحول بذلك مدلولها إلى هذا المعنى الجديد

١٤ — وقد تغيرت فى اللغات العامية مدلولات كثير من الكلمات ، لأن الشىء نفسه الذى تدل عليه قد تغيرت طبيعته أو عناصره أو وظائفه أو الشئون الاجتماعية المتصلة به وما إلى ذلك . فكلمة « الريشة » مثلاً كانت تطلق على آلة الكتابة أيام أن كانت تتخذ من ريش الطيور . ولكن تغير الآن مدلولها الأصلى تبعاً لتغير المادة المتخذة منها آلة الكتابة ؛ فأصبحت تطلق على قطعة من الحديد مشكلة فى صورة خاصة . و « القطار » كان يطلق فى الأصل على عدد من الإبل على نسق واحد تستخدم فى السفر . ولكن تغير الآن مدلوله الأصلى تبعاً لتطور وسائل المواصلات ، فأصبح يطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة

---

(١) نعنى بها القبائل الحاضرة التى تسكن الفيوم وبنى سويف والشرقية والبحيرة . . . الخ (الفوايد ، الرماح ، الحرابى ، أولاد على ، الضعفاء ، خويلد ، عمالوس . . . الخ) .

(٢) تكاد تكون هذه الظاهرة مقصورة لديهم على العين المنبورة بطاء وهذه كذلك لهجة قديمة هى لهجة هذيل .

(٣) هذه كذلك لهجة حمير ، وقد جاء بها الحديث « ليس من امبرامصيام فى امسفر » .

(٤) أنظر تفصيل هذا الموضوع فى كتابنا « علم اللغة » ص ٢٩٣ وتوابعها .

(٥) أنظر تفصيل هذا العامل وآثاره فى اللغات الأخرى فى كتابنا « علم اللغة » ٣٠٥ ، ٣٠٦

(١) أنظر تفصيل هذا العامل وآثاره فى اللغات الأخرى فى كتابنا « علم اللغة » ٣٠٧

بخارية . و « البريد » كان يطلق على الدابة التى تحمل عليها الرسائل ، ثم تغير الآن مدلوله تبعاً لتطور الطرق المستخدمة فى إيصال الرسائل ، فأصبح يطلق على النظم والوسائل المتخذة لهذه الغاية فى العصر الحاضر

١٥ — انتقال كلمات جديدة إلى بعض اللهجات العامية من اللغات الأجنبية التى احتكت بها . فقد انتقل إلى كل بلد عربى اللسان كثير من كلمات اللغات التى أتيح له الاتصال بأهلها اتصالاً ثقافياً أو سياسياً أو اقتصادياً . فانتقل إلى لهجة العراق كثير من الكلمات التركية والفارسية والكردية والإنجليزية . وإلى لهجات الشام كثير من الكلمات التركية والفرنسية . وإلى لهجة مصر كثير من الكلمات التركية واليونانية والفرنسية والإيطالية ... وهلم جراً

١٦ — انتقال أصوات جديدة إلى بعض اللهجات العامية من اللغات الأجنبية التى احتكت بها . فمن ذلك مثلاً صوت بين الشين والجيم المعطشة ينطق به فى عامية العراق فى مثل كلمة « عربنجى » (سائق العربة) . فمن المحتمل أن يكون هذا الصوت قد انتقل إليها من التركية[1]

١٧ — دخول قواعد جديدة فى بعض اللهجات العامية للحاجة إليها فى الكلام أو عن طريق احتكاكها باللغات الأخرى . فقد انتقل مثلاً إلى المصرية والعراقية طريقة النسب التركية (بزيادة جيم وياء) فى بعض الكلمات وخاصة ما يدل منها على الحرفة : (عربجى . طرشجى . جزمجى ...) ، وطريقة الإضافة فى بعض الكلمات بتقديم المضاف إليه على المضاف (كتبخانة ، أتيكخانة ... الخ) . وانتقل إلى اللهجة العراقية طريقة النعت الفارسية التى يقدم فيها أحياناً النعت على المنعوت (... « خوش ولد » خوش كلمة فارسية معناها حسن . ومعنى الجملة ولد حسن أو ما أحسنه من ولد) . وطريقة تنكير الإسم المفرد بذكر كلمة قبله تدل على الوحدة (« فرد رجل » ؛ « فرد مخالفة » ... الخ)

(١) هذا الصوت كان موجوداً فى بعض اللهجات العربية القديمة ، فمن المحتمل كذلك أن يكون قد انتقل إلى العراقية من هذه اللهجات .

وانتقل إلى معظم اللهجات العامية المنتسبة عن العربية طريقة الإضافة بتوسط كلمة تدل على الملك بين المضاف والمضاف إليه : ففى مصر تتوسط غالباً كلمة « بتاع » المحرفة عن متاع ؛ وفى تونس والجزائر كلمة « إنتاع » أو « تاع » المحرفة كذلك عن متاع ؛ وفى المغرب الأقصى كلمة « ديال » ؛ وفى العراق كلمة « مال » للمذكر و « مالة » للمؤنث ؛ (... « الكتاب مالى » ؛ « الكراسة مالتى » ، أى كتابى وكراستى)[1] . ودخل فى معظم هذه اللهجات كذلك زمن جديد للمضارع للدلالة على الاستمرار . وقد اختلفت هذه اللهجات فى الإشارة إلى هذا الزمن ، فبعضها يشير إليه بياء فى أول الفعل (« بيكتب » فى بعض اللهجات المصرية) ؛ وبعضها يشير إليه بميم فى أول الفعل كذلك (« متكتب » فى بعض اللهجات المصرية والسورية) ؛ وبعضها يشير إليه بكاف قبل الفعل (« كيكتب » فى لهجة المغرب) ؛ وبعضها يشير إليه بكلمة « عم » قبل الفعل (« عم يكتب » فى كثير من اللهجات المصرية والعراقية) ؛ أو بكلمة « راه » (« راه يكتب » فى لهجة المغرب . وتستخدم هذه الأداة كذلك فى مصر ولكن للدلالة على الاستقبال وتقلب هاؤها حاء ، فيقال « راح يكتب »)[2]

١٨ — انقراض بعض الكلمات لانقراض مدلولها أو قلة استخدامه . فقد انقرض فى اللهجات العامية كثير من الأسماء العربية الدالة على أمور بطل استعمالها ؛ ويصدق هذا على أسماء الملابس والأثاث وعدد الحرب ووسائل النقل وآلات الصناعة والقاييس والنقود ومظاهر النشاط والنظم الاجتماعية ... التى كانت سائدة عند العرب فى عصورهم الأولى ، ولكنها انقرضت أو لم يعد لها شأن فى عصورنا الحديثة ، فانقرضت معها الكلمات الدالة عليها

١٩ — انقراض بعض الكلمات لثقلها على اللسان أو عدم

(١) أنظر فى ذلك بعض ملاحظات طريفة لرينان فى كتابه :
Renan : Histoire générale des Langues sémitiques, p. 411

(٢) يظهر لى أن هذا الزمن لم ينتقل إلى هذه اللهجات من لغات أخرى ، بل تكون فيها بشكل تلقائى للحاجة إليه فى التعبير .

تلاؤمها مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق ... وما إلى ذلك وإلى هذا العامل يرجع السبب في انقراض كثير من الكلمات العربية من لغات التخاطب العامية في العصر الحاضر

٢٠ — انقراض الكلمة لدقة مدلولها ، أو عدم الاحتياج إليه في لهجات المحادثة العادية ، أو قلة دورانه فيها ، أو وجود لفظ آخر مرادف له . فلهجات المحادثة تقتصر في العادة على الضروري وتنفر من الكمالي وتنأى عن مظاهر الترف ؛ وإلى هذا العامل يرجع السبب في انقراض آلاف من الكلمات العربية من لهجات المحادثة الحاضرة ، وفي تجرد هذه اللهجات من أهم خاصة تمتاز بها العربية ، وهي سعة الثروة في المفردات وكثرة المترادفات

* * *

هذا ، وعلى الرغم من اختلاف هذه اللهجات في ظروفها ، فقد تأثرت في بعض النواحي بعوامل متحدة ، فاتفقت في طائفة من مظاهر التطور . وتبدو وجوه اتفاقها هذا في أمور كثيرة من أهمها ما يلي :

١ — تجردها من جميع الحركات التي تلحق آخر الكلمات في العربية الفصحى ، سواء في ذلك ما كان منها علامة إعراب وما كان حركة بناء . فينطق في هذه اللهجات بجميع الكلمات مسكنة الأواخر ، وتلتزم حالة واحدة في الكلمات المعربة بالحروف ويعتمد في فهم الأمور التي ترشد إليها في العربية الفصحى علامات الإعراب (وظيفة الكلمة ، علاقة عناصر العبارة بعضها ببعض ... الخ) على سياق الحديث أو على كلمات مستقلة تذكر في الجملة .

٢ — استبدل في هذه اللهجات بالطرق المعقدة الدقيقة التي تسير عليها العربية الفصحى في تركيب الجملة وترتيب عناصرها ، طرق بسيطة ساذجة وأساليب حرة طليقة

٣ — لم تحتفظ هذه اللهجات إلا بجزء يسير من تراث أمها العربية وثروتها العظيمة في المفردات ، ويتمثل هذا الجزء في الكلمات الضرورية للحديث العادي

* * *

ومن هذه الخواص الثلاث يتبين أن أهم ما تمتاز به العربية الفصحى عن أخواتها السامية قد تجردت منه اللهجات العامية الحديثة ، فمسافة الخلف بين لهجاتنا الحاضرة واللغات السامية الأخرى أضيق إذن من مسافة الخلف بين هذه اللغات والعربية الفصحى .

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة السربون

اضمحلال القوى ان الأعصاب الموطئة تتب الكآبة وانقباض النفس وتلاشي نشاط الرجولة قبل الأوان « مرض السورسثانيا الناسلية » ولكن بعد اجراء ابحاث علمية مستفيضة مدى عدة سنين ، نجح جناب العالم الاخصائي في المسائل الناسلية الدكتور ماجنوس هيرشفلد في ايجاد وسيلة فعالة لمكافحة هذا المرض وبعد الاختبار والتجربة الكافية يقدم للجمهور مستحضر : لوليوبيطس والصواب مستحضر علمي يحتوي بكيفية مضمونة على الهرمون الخصبي لتجديد الشباب بحالة ثابتة متعادلة ويعمل دائما تحت رقابة المعهد الرسمي للتناسليات بمدينة برلين . اقرأ الكتيب العلمي « الحياة الجديدة » فهو يعلمك كثيرا من الأمور التي قد تجهلها الى الآن عن الحياة الناسلية وترسل النسخة الانجليزية او الفرنسية مجانا مزينة برسوم زاهية خمسة الوان نظير ٥ والنسخة العربية ٣ جلانهور مبين ، عند وبوستة ٢١٠٥ بمصر

اختراع ... زيادة الحساسية فائدة للشفاء ابو سالمة العلاج العلمي الحديث الزوال الكتف العلامة ماجنوس هيرشفلد

مجانا اقطع هذا الكوبون وارسله الى عند وبوستة ٢١٠٥ بمصر مرفقا طابع بخمسة مليمات فترسل لك نسخة مجانا من كتاب الحياة الجديدة

(س . ت ٥٢٢٧)